الصورة التشبيهية في قصة دومة ود حامد للطيب صالح

دكتور/ المكاشفي إبراهيم عبدالله محمد[1]

الملخص

هدفت الدراسة إلى تناول الصورة التشبيهية في قصة "دومة ود حامد" للروائي الطيب صالح ؛ بغية بيان مدى تناغمها مع الحال الموصوف بها وأثر ذلك في معالجته لبعض معضلات السياسة التي احتوتها القصة، وإبراز القدرة التصويرية للطيب صالح على نقل المعاني التي يرومها، والوقوف عند مصادر التصوير الفني لديه. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي وتوصَّلت إلى نتائج عدَّة، أهمَّها: قدرة الكاتب على انتزاع الصورة التشبيهية من البيئة وتحميلها من المعاني ما لا تحمله عشرات الألفاظ، جمعت الصورة التشبيهية بين جمال التشبيه وقوة المعنى، ودلت على قدرة الكاتب في انتقاء تشبيهاته وملائمتها للمعاني وتفصيلها عليها تفصيلاً حاذقاً يبرز مفاتنها، استطاع الكاتب عن طريق الصورة التشبيهية أن يحول الدومة إلى رمز أسطوري، عرض عن طريقه لبعض معضلات السياسة في السودان، عرضاً فنياً رائعاً، جاءت الصورة التشبيهية – في أغلبها –حسية فيما يخصُّ جانب المُشبَّه به.

(١) أستاذ الأدب والنقد المشارك– جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية.

Abstract

This study aimed to highlight the features of simile in the novel of Domat Wad Hamid written by EtayebSalih. The purpose of the study is to state to what extent the novel is in harmony with what it describes, and the effect of that on addressing some political dilemmas that the novel contains, reveal the pictorial capacity of EltayebSalih to convey the meanings he wishes, and to investigate the sources of his artistic portrait. The researcher adopted the descriptive method. The study concluded to many results the most important of which were: The capacity of the novelist to elicit the features of simile from the environment to convey meanings better than thousands words can do. The features of simile have combined between the beauty of simile and the strength of meaning. Results indicated the ability of the novelist to elicit his similes and make them relevant to the meanings, and explain them in ingenious details that reveal its attractions. The novelist was able in using features of simile to shift Al-Duma into a legendary figure; presented through him some of political dilemmas in Sudan in splendid artistic way. Most of the features of simile were sensual, principally in the aspect of likened character.

مقدمـــــــة

يقول الجاحظ في معرض حديثه عن قضية اللفظ والمعنى: المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني[(١)].

ورغم الحملة الشعواء التي تعرض لها الجاحظ واتهامه بتفضيل اللفظ على المعنى، إلا أنَّه – حتماً – كان يشير إلى ضرورة اختيار اللفظ الذي يليق بحمل المعنى ويكون مفصلاً عليه تفصيلاً يبرز مفاتنه ؛ فالمعاني رصيد إنساني عام يشترك فيه الناس بنسب متفاوتة، ولكن الذي يميّز الأديب هو قدرته على التعبير عنها بأدوات لغوية مناسبة، ولعل هذا ما رمى إليه الجاحظ فحسب، وليس ببعيد من قضية اللفظ التي طرقها الجاحظ، الصورة الفنية التي تساعد الأديب في نقل المعاني بمنأى عن التقريرية والمباشرة، والإيحاء بها إيحاء له أبعاد دلالية عميقة، فالصورة الفنية هي الإطار الذي يصب فيه المبدع ما اعتمل في نفسه وما اختلج فيها من مشاعر صادقة حيال موقف من مواقف الحياة، يحاول جاهداً أن ينقله للمتلقي ليؤثر فيه فيشاركه الشعور، ولا شك أنَّ التشبيه بوصفه عنصرا أساسيا من عناصرها وركنا من أركان البيان وعماده، له دور كبير في بناء الصورة الفنية.

وعليه ليس ثمّة شك في أنَّ جمال الصورة التشبيهية عامة، وتناغمها مع الحال الموصوف شعراً أكان أم نثراً، ضربٌ من الإبداع وقوة من التأثير على العقل والقلب معاً، تفعل بهما ما يفعل السحر، وما سُمّيت اللغة العربية بلغة المجاز–على قول العقاد– إلا لأنها تجاوزت حدود الصور المحسوسة إلى حدود المعاني المجردة، فيستمع العربي إلى التشبيه فلا يشغل ذهنه بأشكاله المحسوسة إلا ريثما ينتقل منها إلى المقصود من معناه، فالقمر عنده بهاء، والزهرة نضارة، والغصن اعتدال ورشاقة، والطود وقار وسكينة[(٢)].

(١) ١الحيوان،الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون،، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر١٩٦٥م، ص ١٣١.
(٢) ١اللغة الشاعرة ،عباس محمود العقاد، نهضة مصر، القاهرة،١٩٩٥م ، ص ٣٣.

وبناء على ذلك جاءت الوررقة تحت مسمَّى "الصورة التشبيهية في قصَّة دومة ود حامد" للطيب صالح، محتوية على مقدمة ، ثُم تعريف بحياة الكاتب، ومن ثَمَّ الحديث عن تناغم الصورة التشبيهية مع الحال الموصوف في القصة. وختام ذلك بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تناول الصورة التشبيهية في قصة (دومة ود حامد) للأديب الطيب صالح ؛ بغية بيان مدى تناغمها مع الحال الموصوف بها وأثر ذلك في معالجته لبعض معضلات السياسة التي احتوتها القصة، وإبراز القدرة التصويرية للطيب صالح على نقل المعاني التي يرومها، والوقوف عند مصادر التصوير الفني لديه.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في تناولها لتجربة جديرة بالدراسة تتمثل في قدرة الأديب الطيب صالح على المواءمة بين طرفي التشبيه والخروج بمعانٍ أكثر دقة وإيحاء، وهو أمر قلَّما يتأتى لكثير من الأدباء ممن لا يتعمقون في حفريات التشبيه كثيرا.

منهج الدراسة:

انتهجت الدراسة المنهج الوصفي، وذلك من خلال جمع الصور التشبيهية المنثورة في قصَّة دومة ود حامد، وتحليلها وصولاً لتحقيق الأهداف المناطة بالدراسة فحسب.

أوَّلاً: التعريف بالطيِّب صالح:

الطيب صالح علم غني عن التعريف، ولكن تأتي هذه الإضاءة عنه بغرض معرفة العوامل التي أثرت في حياته وشكلت وجدانه وصبغت فنه، إضافة إلى تصحيح بعض المعلومات التي تتصل بتاريخ ميلاه ووفاته وتاريخ بعض أعماله.

ولد بقرية كرمكول بمحافظة مروي شمال السودان ١٩٢٩م، وتلقى تعليمه الأولي هناك، ثم التحق بجامعة الخرطوم، وسافر إلى بريطانيا ١٩٥٣م وعمل لسنوات طويلة في القسم العربي لهيئة الإذاعة البريطانية، وترقى بها حتى وصل إلى منصب مدير قسم الدراما. ثم استقال منها و عمل وكيلا لوزارة الإعلام القطرية، ثم انتقل إلى باريس ليعمل مديرا إقليمياً بمنظمة اليونسكو، وعمل ممثلا لهذه المنظمة في منطقة الخليج العربي في الفترة من ١٩٨٤-١٩٨٩م. من أعماله : عرس الزين، موسم الهجرة إلى الشمال، بندر شاه (ضو البيت/ مريود)، دومة ود حامد، وغيرها.

وافته منيته في لندن في يوم ١٨/ ٢/ ٢٠٠٩م، ونقل جثمانه لبلاده ووري الثرى في أم درمان[١].

هذا ما جاء من معلومات عن الطيب صالح في معجم الأدباء العرب في الرواية والشعر والأدب، بيد أنَّ محمود صالح عثمان صالح في تحريره لكتاب "بعد الرحيل في تذكر المريود الطيب صالح"، ذكر في ختام تمهيده للكتاب ما نصه الآتي:

- ١٢ يوليو ١٩٢٨هو تاريخ ميلاد الراحل وليس ١٩٢٩م، كما ذكر أغلب الكتاب.
- فبراير ١٩٥٣م، هو تاريخ وصول الراحل إلى لندن وليس ١٩٥٢م.
- ١٧ فبراير ٢٠٠٩م، هو تاريخ الوفاة وليس ١٨ فبراير[٢].

(١) معجم الأدباء العرب في الرواية والشعر والأدب،عبد الحميد دشو،منبج، (إصدارة إلكترونية ٢٠١٨م، ص ٢٧٩-٢٨٠.

(٢) بعد الرحيل (في تذكر المريود الطيب صالح)، حسن أبشر وآخر، مركز عبد الكريم ميرغني، أم درمان، ٢٠٠٩م، ص ١٢-١٣.

هذا ورغم الشهرة التي حُظي بها الطيب صالح، إلا أنَّه عُرف بتواضعه العظيم وأدبه الجم، وأنَّه لم يفتتن بسلطة أو سياسة، وعُرِف عنه ولعه بشعر المتنبي[١].

قال في حقه خالد محمد غازي: رحل الطيب وترك لنا شيئين : ذكرى إنسانية طيبة مستمدة من اسمه فهو طيِّب وصالح لا يختلف عليه اثنان، لم أرَ في حياتي رجلاً لا يختلف عليه اثنان إلا هذا الرجل.. جمع بين أدب الحرف وأدب النفس، وهما أدبان ما اجتمعا لكثير... الشيء الآخر هو ما أبدعه قلمه من سرد يحمل عذوبة ماء النيل، فلم يُترك موضع إبرة على حد تعبير أحد النقاد، من جسده الروائي، لم تُغرز فيه دراسة نقدية أو بحث[٢].

وهذا التواضع غير المصطنع أكده الطيب صالح نفسه في كثير من حواراته، منها قوله: "لم اسعَ إلى جائزة نوبل، ولم أفكِّر فيها على الإطلاق، وأنا أولاً لا أملك الإنتاج الأدبي الكافي لتأهيلي إلى نيل هذه الجائزة ثم أني لا أعتبرها شيئا متغيرا في تاريخ الأدب ولا شيئاً قادرا على تضخم الكاتب الذي يحصل عليها سوى في الأيام الأولى للإعلان عن الفوز بها.. ثم ينتهي كل شيء وتدور عجلة الحياة.. وعموما الجوائز لا تصنع أديبا"[٣].

ثانياً: تناغم الصورة التشبيهية مع الحال الموصوف في قصة دومة ود حامد:

ود حامد هو اسم مستعار ورمز عبَّر به الطيب صالح في كثير من رواياته وقصصه عن بلدته وما جاورها من قرى، وأمَّا دومة ود حامد فهي قصة قصيرة تعالج التعارض المزعوم بين التقاليد والتطور الحادث الذي هو من سنة الحياة، وذلك بأسلوب أخَّاذ، يجمع التقرير الصحفي إلى الفكر النقدي في قالب أدبي متين الأسر، عميق التشويق، جعل مُحي الدين صبحي يقول: "لم أقرأ إلى اليوم قصة سياسية

(١) الطيب صالح (الرجل وفكره)،عثمان محمد الحسن، مطبعة أكاديمية العلوم الطبية، الخرطوم، ٢٠٠٢م، ص ٢٠.
(٢) الطيب صالح سيرة وشهادات من محطات العمر، خالد محمد غازي، وكالة الصحافة العربية، الجيزة- مصر، ٢٠١٥م، ص ٦.
(٣) الطيب صالح سيرة وشهادات من محطات العمر،خالد محمد غازي، ص ٨٣.

تضاهيها حلاوة سبك وسلاسة تعبير، وتوالي أحداث ورشاقة عرض"[1].

تبدأ القصة بوصف بيئة ود حامد من خلال الصور التشبيهية التي اختارها الكاتب بعناية فائقة لترسم المشهد وتهيء لأحداث القصة، يقول على لسان الراوي : "لو جئت بلدنا سائحاً فأغلب الظن أنك لن تمكث فيها طويلا، تجيئنا شتاءً وقت لقاح النخل، فترى سحابة داكنة ربضت على البلد، ليس هذا يا بني غبارا ولا هو بالضباب الذي يثور بعد وقوع المطر، هذا سربٌ واحد من أسراب النُمتِّه التي تربط على الداخلين أفواه الطريق. وتجيئنا صيفاً فتجد عندنا ذباب البقر، ذباب ضخم كحملان الخريف، كما نقول بلهجتنا، ومن هذا البلاء أهون عليك (النُمتِّه• ألف مرة..."[2] وتجيئنا في وقت ليس صيفاً ولا شتاءً، فلا تجد شيئاً.

هكذا بدأت القصة مشوقة منذ البداية، ولا يخفى ما ساقته التشبيهات من تهيئة نفس القارئ وشده لمتابعة الأحداث التي ستدور في (ود حامد) وقد ربض (النُمتَّه) على أطرافها كأنَّه سحاب داكن، أو ضباب من كثرته وانعقاده في الفضاء في شكل مجموعات كبيرة، وأشدُّ من ذلك أن يكون ذباب البقر في ضخامته مثل حملان الخريف، وهو ذباب يلسع ويطن ويرن وعنده حب عظيم لبني آدم يشتمَّهم من بعيد فيلتهمهم التهاما!. إذاً فليتابع القارئ الأحداث التي ترتبط بهذه البيئة التي تبدو على أي حال خشنة قاسية، تصعب الحياة فيها، وهو الأمر الذي يؤكده الكاتب على لسان الراوي حين يقول: أرسلت الحكومة واعظاً لود حامد، ليقيم عندهم شهراً فحلَّ عليهم في موسم لم يُرَ ذبابُ البقرِ أسمن منه في ذلك الموسم، فتورم وجه الرجل من اليوم الأول، فتصبر وصلى بهم صلاة العشاء وحدثهم عن مباهج الحياة في الفطرة ، وفي اليوم الثالث أصابته حمى الملاريا والدسنتاريا وانسدت عيناه

(١) الطيب صالح عبقري الرواية العربية، مجموعة مؤلفين، دار العودة بيروت ١٩٨٤م، ص ١٦.

• حشرات صغيرة مؤلمة عضاضة.

(٢) الأعمال الكاملة ، الطيب صالح، دار العودة، بيروت، ط ٢٠١٠م، ص٥٠١-٥٠٢.

تماما. يقول الراوي فزرته في ذلك اليوم فقلت له "يا شيخ، "ليس في بلدنا شيء نريكه ولكني أحب أن ترى دومة ود حامد... يقول: فرفع إليَّ وجهاً كأنَّه رئة بقرة ذبيح، وكانت عيناه مغلقتين، وقال لي: لو كانت دومتكم هذه دومة الجندل... ما تحركت من مكاني هذا شبراً"[1]. وكفى بهذه الصورة التشبيهية انسجاما وتناغما مع وصف حال الرجل وقد تحول وجهه بفعل تلك الآفات إلى هيئة رئة بقرة ذبيح. وهي صورة توحي بالألم الذي عاناه الواعظ وبالمرارة التي ذاقها، وبقساوة تلك البيئة المهملة من قبل الحكام، ولم يكن في قدرة الواعظ المغرر به إلا أن يرسل برقية لمرسليه يقول فيها "ذباب البقر أكل رقبتي، والملاريا حرقت جلدي، والدسنتاريا غرست أسنانها في أحشائي، اقيلوا عثرتي يرحمكم الله. فهؤلاء قوم لا حاجة لهم بي ولا بواعظ غيري"١وهكذا تناثرت المعاني التي فاءت بها ظلال تلك الصورة لا محالة وهو المغزى الذي حاول الكاتب إيصاله والمتمثل في نفاق الحكومات وحصرها لمفهوم الدين في الوعظ والترغيب والترهيب، وكان أولى بها أن توفر لهم مصحة أو تبني لهم مدارس تخرجهم من جهلهم حتى يتمكنوا من إصحاح بيئتهم وترك خرافاتهم. يقول الراوي: ورحل الرجل، ولم ترسل لنا الحكومة واعظاً بعده.

ثم ينتقل الكاتب بآلة تشبيهه إلى وصف الدومة، فيصورها في تشبيهات رائعة تصفها وصفاً حسيِّاً دقيقاً يوحي بالرموز التي يعبر بها الكاتب عمَّا يريده، ويبتغي معالجته من خلال هذه القصة، يقول الراوي "ها هي ذي.. دومة ود حامد. انظر إليها شامخة برأسها إلى السماء. انظر إليها ضاربة بعروقها في الأرض. انظر إلى جزعها المكتنز الممتلئ كقامة المرأة البدينة، وإلى الجريد في أعلاها كأنَّه عُرف المهرة الجامحة. حين تميل الشمس وقت العصر ترسل الدومة ظلها فيستظل بها الجالس على الضفة الأخرى، وحين تصعد الشمس وقت الضحى، يمتد ظل الدومة

(١) ١الأعمال الكاملة ، الطيب صالح ،ص ٥٠٣.

فوق الأرض المزروعة والبيوت حتى يصل المقبرة. أتراها عقاباً خرافياً باسطاً جناحيه على البلد بكل ما فيها؟". وفي وصف آخر " انظر إليها يا بُني... شامخة آنفة متكبرة، كأنَّها.. كأنَّها صنم قديم، أينما كنت في هذه البلدة تراها، بل إنك تراها وأنت في رابع بلدة من هنا"[1].

فانظر إلى التشبيهات التي جعلت من الدومة شيئا أقرب إلى الخيال والرمز معاً، وما يولده ذلك من تعظيم أمرها في نفس القارئ، فهي شامخة برأسها وضاربة بجذور غائرة، ممتلئة مكتنزة كقامة المرأة البدينة، تشمخ بجريدها كعرف المهرة الجامحة، تبسط ظلها على الضفتين كأنَّها عقاب خرافي يبسط أجنحته، تبدو للعيان كأنَّها صنم قديم. فليس من شك في أنَّ الكاتب يسوق هذه التشبيهات هكذا عبثاً، بقدر ما هو يريد من ظلالها الكثيفة التي ألقتها على المعنى أن يزيد من حبكة القصة، ويشد القارئ إلى متابعة أحداثها وصولاً للمعنى المنشود؛ إذ أن هذا الرسم المحكم للدومة لا بد أنَّه أحاطها بهالة عظيمة تتواءم مع القدسية التي رسخت في قلوب أهل البلد. بيد أنَّه لم يكتفِ بهذا القدر من المعاني التي نقلها عبر هذه الصور، فراح يتعمق عبر صورة أخرى ليصل إلى درجة عالية من حبكة النص وتحويل الدومة إلى عمل شبه أسطوري، يقول الكاتب على لسان الراوي: حين ترتد بنا الذكريات إلى الوراء ، إلى ذلك الحد الفاصل الذي لا تذكر بعده شيئاً، نجد دومة عملاقة تقف على شط في عقولنا، كل ما بعده طلاسم فكأنَّها الحد بين الليل والنهار، كأنَّها ذلك الضوء الباهت الذي ليس بالفجر ولكنه يسبق طلوع الفجر [2]، وهنا فقط يصل الكاتب إلى مبتغاه المنشود ، والمتمثل في العمق الشعبي المتجذر في نفوس أهل البلد بسبب بسطاتهم وبساطة الحياة التي يعيشونها وهو الأمر الذي ستستغله المعارضة فيما بعد وتحيل به الدومة إلى رمز ليقظة الشعب وإلى نار يوقدون بها الثورة وقتما أرادوا.

(١) الأعمال الكاملة، الطيب صالح، ص ٥٠٣.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥٤-٥٠٥.

وفي سياق آخر..كان أهل البلد يتندرون بقصص الدومة وأعاجيبها "يصحو الرجل من نومه فيقص على جاره أنه رأى نفسه في أرض رملية واسعة... مشى ومشى حتى لحقه الظمأ وبلغ منه الجوع، ثم صعد تلاً، فلما بلغ قمته رأى غابة كثة من الدوم.. في وسطها دومة طويلة، بقية الدوم بالنسبة لها كقطيع الماعز بينهن بعير"[1]. فانظر إلى جمال التشبيه المنتزع من البيئة نفسها وتعبيره عن المعنى المقصود، وهو الإمعان في غرابة هذه الدومة وما حولها من خرافات وتقديس، وذلك لغاية فنية يريد الكاتب سبرها عبر القصة.

وهكذا بطريقة أو بأخرى تتصاعد الأحداث في دومة ود حامد، ولا تفتأ الصور التشبيهية تلعب دوراً كبيراً في صنع هالة كبيرة حولها وتحويلها إلى شيء مقدس، إلى صنم لا يرتضي الناس المساس به من قريب أو من بعيد، ثم كضربة لازب، يدفع الكاتب بحدث يصل بعقدة القصة إلى ذروتها وهو أنَّ الحكومة تريد قطع الدومة لإقامة مشروع زراعي، محتجة بأنَّ موضع الدومة خير موضع لإقامة مكنة الماء...غير أنَّ الناس هبوا عن آخرهم وسدوا على مفتش المركز السبل، كان ذلك في عهد الحكم الأجنبي. ولا بُّد أن ذباب البقر كان خير معين لهم في طرد وفد الحكومة... يقول الراوي "فلم تأتِ مكنة ماء ولم يأتِ مشروع، ولكن بقيت لنا دومتنا"[2].

واستتباعاً للصور التشبيهية في القصة، ودورها في إيصال المعنى الذي يريده الكاتب يقول الراوي: " في العهد الوطني جاءنا موظف في الحكومة وقال لنا إنَّ الحكومة تنوي أنْ تنشئ محطة تقف عندها الباخرة، وقال لنا إنَّ الحكومة الوطنية تحب أنْ تساعدنا وتطورنا...غير أنَّه لم يجد تجاوباً من القوم، ففتر حماسه وأسقط في يديه وتلعثم في كلامه. وبعد فترة من الصمت سأله أحدهم: أين تكون

(١) الأعمال الكاملة ، الطيب صالح، ص ٥٠٦.
(٢) الأعمال الكاملة ، الطيب صالح، ص ٥٠٦.

المحطة؟ وقال الموظف لا يوجد غير مكان واحد يصلح محطة- عند الدومة. وهنا يأتي دور التصوير الفني لرسم المشهد، ووصف مشاعر القوم إيزاء ما قاله موظف الحكومة رسماً فنياً بديعاً لا تحتاج بعده إلى تفسير، يقول الراوي واصفاً وقع تلك الجملة على قومه "ولو أنَّك في تلك اللحظة جئت بامرأة وأوقفتها عارية كما ولدتها أمها وسط أؤلئك الرجال، لما أثرت دهشتهم أكثر مما فعلت تلك الجملة"(١). وتمضي الأحداث متصاعدة فيقول الموظف "إنَّ الموعد الذي سيحدد لوقوف الباخرة في المحطة سيكون في الرابعة بعد الظهر من يوم الأربعاء. فيأتيه الرد من أحدهم "ولكن هذا هو الوقت الذي نزور فيه ضريح ود حامد عند الدومة ونأخذ نساءنا وأطفالنا ونذبح نذورنا... فيرد الموظف ضاحكاً: "إذاً غيِّروا يوم الزيارة". وهنا يأتي تصوير الحال أمراً عجبا، يقول الراوي "ولو أنَّ الموظف قال لأولئك الرجال في تلك اللحظة أنَّ كلاً منهم ابن حرام، لما أغضبهم كما أغضبتهم عبارته تلك. فهبوا لتوهم هبة رجل واحد، وعصفوا بالرجل وكادوا يفتكون به لولا أني تدخلت فانتزعته من براثنهم، وأركبته حمارا وقلت له أُنجُ بنفسك"(٢).

غير أنَّ أمر الدومة لم ينتهِ بعد. يقول الراوي "كانت الدروب تسوق إلينا أحيانا غرباء تلقيهم على أبوابنا، كما يلقي موج البحر بالحشائش الغريبة. ما منهم أحد زاد على ليلة واحدة عندنا، ولكنهم كانوا ينقلون إلينا الضجة الكبيرة في العاصمة... ونحن منذ أبينا أنْ تقوم المحطة عند الدومة لم يعد يعكر علينا صفونا أحد"(٣). ألا ترى في تشبيه الغرباء الذين يلقيهم الطريق بالحشائش الغريبة التي يلقيها موج البحر صورة حسية جميلة تجسد الكثير من المعاني المرتبطة بسير الأحداث في القصة ريثما تصل بها إلى النهاية؟ بلى، وأكثر من ذلك أنَّ يجيء الختام في حديث

(١) المصدر نفسه، ص ٥٠٥.
(٢) الأعمال الكاملة ، الطيب صالح، ٥٠٨.
(٣) المصدر نفسه، ص ٥٠٩.

الراوي الذي أرهقه صراع الحكومات الأجنبية والوطنية مع الدومة، ومحاولة قطعها بلا تفاوض أو مرونة، فيقول "صحونا ذات يوم فإذا موظف ذو قبعة ضخمة ورأس صغير ومعه جنديان، وهم عند الدومة يقيسون ويحسبون... لا أطيل عليك فقد أخذنا بنواصيهم وألقيناهم في الماء، وانصرفنا إلى أعمالنا" ثم كان نتيجة ذلك أن رُمي بالراوي ومعه آخرون في السجن ليُمضوا فيه شهراً، يقول الراوي "وذات يوم جاء الجند أنفسهم الذين سجنونا ففتحوا علينا الباب... ثم أخذونا في حشد عظيم إلى حيث الدومة والضريح، ووضع رئيس الوزراء الحجر الأساسي للنصب والقبة والسور ... وكما يهب الإعصار برهة ثم يذهب؛ اختفى ذلك الحشد كما جاء فلم يبت ليلة عندنا... وأحسبه ذباب البقر فقد كان سمينا بدينا يطن ويرن كالعام الذي جاءنا فيه الواعظ"[1] ولعل ما في هذا التشبيه ما يدعو للتأمل؛ إذ أنَّ الحكومة التي لا تحترم شعبها ولا تعي بدورها في توعيته أولا قبل أنْ تُنزل عليه قراراتها مثل القدر – يكون أثرها كأثر الإعصار الذي يهب برهة ثم يتلاشى ولا يبقى منه غير الفوضى التي أشاعها في المكان والأثر المزعج الذي تركه في النفوس. وهنا يكمن عمق التشبيه وبراعة الكاتب فحسب.

وتنتهي القصة بهذا السؤال الذي يسأله الكاتب للراوي "وهل تظن أنَّ الدومة ستقطع يوماً؟ ويستشف الكاتب الإجابة من خلال نظرة عيني الراوي المتعبتين الباهتتين "ليس ثمة داع لإزالة الضريح. الأمر الذي فات على هؤلاء الناس جميعاً أنَّ المكان يتسع لكل هذه الأشياء– يتسع للدومة والضريح ومكنة الماء ومحطة الباخرة"[2].

(١) المصدر نفسه، ص ٥١٤ – ٥١٥.

(٢) الأعمال الكاملة، الطيب صالح، ص ٥١٧.

خاتمـــة

بعد هذا التجوال القصير مع قصة "دومة ود حامد" تعقباً للصورة التشبيهية فيها، ودراسة مدى تناغمها مع الحال الموصوف، خرجت الدراسة بنتائج عديدة، منها:

١/ تناغم الصورة التشبيهية مع الحال الموصوف في دومة ود حامد، تناغما ألقى ظلالاً كثيفة حول المعاني التي كان يرمي إليها الكاتب، ونقلها عبر القصة.

٢/ قدرة الكاتب الباهرة في انتزاعه للصور التشبيهية من البيئة، دون تكلف أو عناء.

٣/ براعة الكاتب في تفصيل الصور التشبيهية على الحال الموصوف تفصيلاً جعل المعاني واضحة وزاهية، وأضاف لها أبعادا ومرامي عميقة.

٤/ استطاع الكاتب من خلال إجادته للصورة التشبيهية أن يحبك عقدة النص، وأنَّ يشوِّق القارئ لمتابعة القصة إلى نهايتها.

٥/ تمكن الكاتب عن طريق الصورة التشبيهية أن يحول الدومة إلى رمز وإلى عمل شبه أسطوري، عرض عن طريقه معضلات السياسة في السودان، عرضاً فنيا رائعا.

٦/ جاءت الصورة التشبيهية في أغلبها حسية لا سيما في جانب المشبه به.

المصادر والمراجع

- الأعمال الكاملة، الطيب صالح، دار العودة، بيروت، ٢٠١٠م.
- بعد الرحيل (في تذكر المريود الطيب صالح)، حسن أبشر الطيب وآخر، مركز عبد الكريم ميرغني، أم درمان، ٢٠٠٩م.
- الحيوان،الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) ، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون،، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر١٩٦٥م .
- الطيب صالح (الرجل وفكره)، عثمان محمد الحسن، مطبعة أكاديمية العلوم الطبية، الخرطوم، ٢٠٠٢م.
- الطيب صالح سيرة وشهادات من محطات العمر، خالد محمد غازي، وكالة الصحافة العربية، الجيزة- مصر، ٢٠١٥م.
- الطيب صالح عبقري الرواية العربية، إعداد مجموعة من الكتاب، دار العودة، بيروت، ط٣، ١٩٨١م.
- عرس الزين، الطيب صالح، دار الجيل، بيروت، ب ت.
- اللغة الشاعرة ،عباس محمود العقاد، نهضة مصر، القاهرة،١٩٩٥م.
- معجم الأدباء العرب في الرواية والشعر والأدب، عبد الحميد دشو، منبج، إصدارة إلكترونية ٢٠١٨م.